خص المؤمنين بانه هديهم وان كان قد هدى جميع الخلق لانه ذكرهم
على طريق المدح ولانهم الذين استجابوا لهداى الله وغيرهم كانه لم يعتد بهم
وقوله وما كان الله ليضيع ايمانكم قيل فيه اقوال احدها لما حولت القبلة
قال ناس كيف باعمالنا التى كنا نعمل فى قبلتنا الاولى فانزل الله وما كان
الله ليضيع ايمانكم عن ابن عباس وقتاده وقيل انهم قالوا كيف عن مات
مواخواننا قبل ذلك وكان مات اسعد بن زراره والبراء ابن المعرور و
كانا من النقباء فقال وما كان الله ليضيع ايمانكم اى صلوتكم الى بيت المقدس
ويمكن على هذا ان يحمل الايمان على اصله فى التصديق اى لا يضيع تصديقكم
بامر تلك القبلة وثانيها انه لما ذكر ما عليهم من المشقة فى التحويله
اتبعه بذكر ما لهم عنده بذلك من المثوبة وانه لا يضيع ما عملوه من
الكلفة فيه لان التذكير به يبعث على ملازمة الحق والرضا به عن الحسن
وثالثها انه لما ذكر انعامه عليهم بالتولية الى الكعبة ذكر النبى الذى
استحقوا به ذلك الانعام وهو ايمانهم بما حملوه اولا فقال وما كان
الله ليضيع ايمانكم الذى استحققتم به تبليغ محبتكم فى التوجه الى الكعبة
عن ابى القاسم البلخى وقوله ان الله بالناس لرؤف رحيم رؤف
بهم لا يضيع عنده عمل عامل منهم والرافة اشد الرحمة دل سبحانه بالرافة
والرحمة على ان يوفر عليهم ما استحقوه من الثواب من غير تضييع لشئ
منه وقيل انه سبحانه دل بقوله رؤف رحيم على انه منعم على الناس
بتحويل القبلة واستدل كثير من العلماء بهذه الآية على ان اجماع
الامة حجة من حيث انه وصفهم بانهم عدول فاذا عدلهم الله سبحانه
لم يجز ان يكون شهادتهم مردودة والصحيح انها لا تدل على ذلك لان قوله

الذين

ان يكون كل واحد من الآية بهذه الصفة ومعلوم خلاف ذلك ومتى
حمل الآية على بعض الامة لم يكونوا بانا ولى ممن حملها على المعصومين والائمة
من آل الرسول وفى هذه الآية دلالة على جواز النسخ فى الشريعة بل على وقوعه
لانه قال وما جعلنا القبلة التى كنت عليها فاخبر الله سبحانه هو الجاعل
لتلك القبلة وانه هو الذى نقله عنها وذلك هو النسخ قد
نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها
فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم
شطره وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم
وما الله بغافل عما يعملون انه الرؤية هى ادراك الشئ
بالبصر ونظيره الابصار ثم يستعمل بمعنى العلم والتقلب والتحول والتصرف
نظير وهو التحرك فى الجهات ويقال ولينك القبلة اى صيرتك
تستقبلها بوجهك وليس هذا المعنى فى فعلت منه لانك تقول
ليت الدار فلا يكون فيه دلالة على انك واجهتها ففعلت فى هذه الكلمة
ليس بمنقول من فعلت الذى هو وليت وقد جاءت هذه الكلمة
مستعملة على خلاف المقابلة والمواجهة فى قوله ويولون الدبر وقوله
يولكم الادبار فهذا منقول من قولهم دارى تلى داره تقول وليت
منازله وفلانى منه مثل فرحت وفرحته والرضا والمحبة نظيران
والمتناظران الفرق بينهما ان المحبة ضدها البغض والرضا ضده السخط
وهو يرجع الى الارادة فاذا قيل رضى عنه فكانه اراد تعظيمه وثوابه
واذا قيل رضى عمله فكانه اراد ذلك والسخط ارادة الانتقام وشطر
المسجد الحرام اى نحوه وتلقاء قال الشاعر وقد اظلكم من شطر ثغركم

جوهكم